

المدرسة اللاكانية الجديدة: سقوط في اختبار غزة

في اليوم الذي تلا السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، أصدرت "المدرسة التحليلية اللاكانية الجديدة" في فرنسا بياناً رسمياً تنحاز فيه إلى الاحتلال الإسرائيلي وتتبنى سرديته، بحذافيرها، من دون أن تتأكد من تلك الرواية، التي تراجعت عنها الصحف العبرية نفسها، بعد أن أوضحت التقارير والتحقيقات الصحافية لاحقاً، زيف ما "أوردته بوصفه حقائق".

تعنى "المدرسة اللاكانية الجديدة" (نسبة إلى المٌحلّل النفسي الفرنسي جاك لكان (1901 - 1981) الذي أعاد تفسير النصوص والتعاليم الفرويدية فلسفياً ولغوياً)، ضمن ممارسة فردية، بالإجابة على صعوبات الفرد وتساؤلاته، وحقيقته الإنسانية، وفهمها في ظلال لاوعيه وتجربة الفرد الكلامية، والتي ينطلق من خلالها [التحليل النفسي](#)، كممارسة أخلاقية وخطاب حُرّ، لمحاولة فهم المجتمع. وبناءً عليه، فإن "التحليل النفسي" موضع نفسه منذ البداية كخطاب معاكس "كليماً" لخطاب "السيد".

في الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر، فشلت "المدرسة اللاكانية الجديدة" في اختبارها العملي أمام تنظيرها السابق، حين تبذرت في بيانها خطاب المُستعمر، وصممت عن مجازر التهجير والإبادة الجماعية - المُستمرّة - بحقّ الإنسان الفلسطيني في [غزة](#)، والتي وصل عدد ضحاياها في العدوان الحالي إلى أكثر من 18 ألف شهيد، أكثر من نصفهم نساء وأطفال، ولم تُدرج ذلك ضمن تعبير "انتهاكات ضدّ الإنسانية" الذي أوردته في بيانها المُنحاز للاحتلال الإسرائيلي.

□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□

ولا ينفصل هذا عن سياق ما أورده المٌحلّل النفسي البريطاني إيان بيكر، في بيان استقالته من "المدرسة اللاكانية الجديدة" في لندن، في أيار/ مايو 2021، وكان من بين أسباب استقالته الثلاثة، التي أوضحها في منشور عبر حسابه في فيسبوك: الدعم المُتكرّر للمؤسّسات الإسرائيلية، وعقد مؤتمرات "المدرسة" في "إسرائيل"، من دون الالتفات إلى دعوات منظمات المجتمع المدني الفلسطينية بالمقاطعة أو تغيير المكان.

. تُشَنُّ ضدَّ هؤلاء "البرابرة"، وتنبذ ما دون ذلك من حروب

فمن هو الآخر؟! هذا التساؤل الأزلي عن الآخر، عن هذه العلاقة الصراعية الإقصائية منذ واقعة قابيل وهابيل إلى ما لا نهاية على ما يبدو، من الممكن أن نراها عبر مفهوم الرغبة ونشوتها وفقاً لتنظير "التحليل النفسي"، الذي يعود للنقص، والذي كما قيل "إنه قَدَر لا "شفاء منه".

وبالعودة إلى ما سبق، فإنَّ علاقة اليوناني مع تلك الفجوة الداخلية غير المحتملة، لربما كانت بحاجة إلى آخر تُسْقِط عليه هذا النقص ليساعد اليوناني في الشعور بالكمال، فكان لا بدَّ من إيجاد آخر "بربري" ناقص، يُثبت من خلاله كماله، وهو ما يستدعي وجود آخر على قيد الحياة، ما يفضي في حال حدوث ذلك إلى حلِّ الصراع الإنساني وفقاً للإخضاع، بدلاً من الإقصاء بالقتل، وهو ما أشار إليه هيغل "بجدلية "السيد والعبد".

وبهذا، تكاد أغلب ممارسات الاحتلال ومواقف المُنحازين لروايته، لا تخرج في تشخيصها عن جدلية "السيد والعبد" لدى هيغل، وتنظير فرانز فانون عن "الأقنعة البيضاء" وعلاقة المُستعمر بالمُستعمر، حيث "الآخر" مُحدِّد ومُصدِّف ببساطة. ضمن هذا السياق، نفهم المرجع النفسي لدى المُستعمر عندما وصف الإنسان الفلسطيني في غزة بأزَّه "حيوان بشري"، وكان هذا تبريراً للقتل وقطع الماء والكهرباء والغذاء والدواء، واستهداف المرافق الصحيَّة كافة، في ظلِّ تبذُّر عدد من المؤسسات الأوروبية لرواية الاحتلال، من بينها "المدرسة اللاكانية الجديدة".

وعلى السيرة، كتب فرويد في 26 شباط/ فبراير 1930، رسالة إلى حاييم كوفلر، عضو "مؤسسة إعادة التوطين في فلسطين"، الذي دعاه لتأييد "التوطين"، وكان ردُّ فرويد واضحاً في رفضه القطعي، ومما جاء في رسالته: "لا يمكنني أن أشعر بذرَّة تعاطف مع تديِّين أسوء تأويله، يجعل قطعةً من جِدَار هـيروُدس معلماً وطنياً، يتم بسببه "تحدِّي مشاعر سكَّان البلد الأصليين".

وعليه، إن كان جاك لاكان قد دعا، عام 1964، بالعودة إلى فرويد بعد ضلال تلاميذه عن القواعد والمفاهيم والتعاليم الأساسية للتحليل النفسي، فإنني أعتقد أننا اليوم بحاجة للعودة إلى فرويد، ولكن هذه المرَّة عبر أخلاقيات وممارسات التحليل النفسي في المقولات السياسية، وفي تجلِّيات الكلمة الحرَّة غير المتماهية مع خطاب

،السيدّ أو المٌحتَلّ.

د. عماد نجم

أخصّائي نفسي من فلسطين *

المصدر: صحيفة العربي الجديد